الحوار واحترام الآخر

الباحث حمزة عبد الرحمن عميش (سوريا)

التقسيم:

المقدمة

المبحث الأول: تعريف الحوار ومصطلحاته

المبحث الثاني : التطرف والحوار

المبحث الثالث: ثقافة الحوار في زمن العولمة

المبحث الرابع : الحوار وبناء الحضارات

الخاتمة

المراجع

مقدمة

بسم الله القائل في محكم تنزيله :"قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير "[1]

وصلى الله على نبينا محمد الذي خاطبه الله بقوله الكريم " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين "[2]

ورضي الله عن الحسن البصري الذي قال معلقا على هذه الآية الكريمة : قد علم الله أن ما برسوله حاجة إليهم ولكن أراد أن يقتدي به من بعده "

والحوار ضرورة , لأنه من الطبيعي الاختلاف عند البشر وكذلك المسلمون لأنهم بشر ولكن لا مانع من الاختلاف بشرط احترام الآخر وحقه وعدم مصادرة رأي

والحوار ضرورة لجمع الشمل وتوحيد الصف وإنهاء المشاكل التي امتدت منذ مئات السنين وصنع لها جمهور تعصب لفكرة لا يعلم مدى صدقها أو كذبها سوى انه قال كذلك آبائي كانوا يجادلون دون علم بالمسالة ودون البحث في أساس المشكلة هذا إذا كان هناك بالأساس مشكلة

وأجمل ما قرأت عن ضرورة الحوار " الشيء الوحيد الذي يجمع جميع الناس هو الاختلاف "[3]

إشكالية البحث: تكمن إشكالية البحث أن الحوار ضرورة قصوى وأكيدة في عالم تتلاطم فيه أمواج القوة وفرض الهيمنة ودعوات للصراع الأممي والعراك العرقي والمذهبي .

---

[1] المجادلة الآية ١

[2] ال عمران الآية ١٥٩

[3] د جون غراي الرجال من المريخ والنساء من الزهرة

فالحوار هو الأداة الأسمى لكل شعوب العالم حتى نضمن مستقبلنا

أهمية البحث:تنبع أهمية البحث من خلال وجود العديد من الجهات التي تنادي بالقضاء على الآخر وظهور جماعات متشددة أيدلوجيا أو دينيا أو عرقيا أو مذهبيا .

فالحوار يفتح آفاق التعاون بدلا من الحروب و الأخوة بدلا من القتل والتدمير

المبحث الأول: تعريف الحوار ومصطلحاته

يعتبر الحوار والمناظرة والجدل والمكابرة ألفاظ لها معان ومدلولات لا بد من الوقوف عليها لبيانها لغة واصطلاحاً والعلاقة بينها .

أولاً : الحوار لغة واصطلاحاً :

١- **الحوار لغة :** ورد في القاموس المحيط : "المحاورة ... والحوار مراجعة النطق ، وتحاوروا تراجعوا الكلام بينهم"[٤] وفي مختار الصحاح : "الحوار المجاوبة ، والتحاور التجاوب" [٥] وفي التبيان : "يحاوره يخاطبه ، يقال تحاور الرجلان إذا رد كل منهما على صاحبه ، والمحاورة : الخطاب من اثنين فما فوق" [٦]

٢- **الحوار اصطلاحاً :** "هو المراجعة في الكلام ومنه التحاور ، وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه" وهذا يعني أن الحوار هو مراجعة في الكلام ولكن بطريقة مؤدبة وبألفاظ حسنة فيها نوع من الود والحب [٧].

ثانياً : المناظرة لغة واصطلاحاً :

١- **المناظرة لغة :** "ورد في لسان العرب : "التناظر : التَّراوض في الأمر ، ونظيرك الذي يراوضك وتناظره ، وناظره من المناظرة ، والنظير المثل ، وفلان نظيرك ، أي مثلك والمناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه[٨].

٢- **المناظرة اصطلاحاً :** عرفها الجرجاني بقوله : " هي النظر بالبصيرة من الجانبين ، في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب"[(١)] .

وعرفها الألمعي بقوله : "هي تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما في ظهور الحق"[(١)] .

وعرفها الميداني بقوله : "هي المحاورة بين فريقين حول موضوع كل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر ، فهو يحاول إثبات وجهة نظره ، وإبطال وجهة نظر خصمه ، مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره"[٩].

ويتفق الإمام أبو زهرة مع غيره في بيان أن المناظرة المقصود منها الوصول إلى الصواب بقوله : "المناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المتناقشين فيه".[١٠]

---

١ – [٤] القاموس المحيط للفيروز أبادي ١٥/٢ ، مادة الحور ، طبعة سنة ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م ، دار الفكر ، بيروت .

٢ – مختار الصحاح ، محمد الرازي ، ص ١٦١ ، مادة حور ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣ – [٥] التعريفات للجرجاني ، ص ٢٣٢ ، ط الثالثة سنة ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية بيروت .

مناهج الجدل للألمعي ، ص ٢٥

[٧] **أدب الحوار محمد حسن بخيت**

١ –[٨] ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، عبد الرحمن الميداني ، ص ٢٨١ ، ط٢ سنة ١٤٠١هـ–١٩٨١م ، دار القلم ، بيروت .

[١٠] تاريخ الجدل ، محمد أبو زهرة ، ص ٥ ، دار الفكر العربي

وهكذا يتبين أن المناظرة محاورة من أجل الوصول إلى الصواب ، ولهذا كان الاشتراط فيها التقارب بين المتناظرين في العلم والفهم .

ثالثاً : الجدل لغة واصطلاحاً :

١- **الجدل لغة :** "هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها ، ورجل جَدِل ومِجْدَل ومِجدال : شديد الجدل ، يقال جادلت الرجل فجدلته جدلاً : أي غلبته ، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام وجادله أي خاصمه ، والاسم (الجدل) وهو شدة الخصومة ، والجدل مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة"[11]

٢- **الجدل اصطلاحاً :** عرفه الجرجاني بقوله : "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة ، أو يقصد به تصحيح كلامه ، وهو الخصومة في الحقيقة" [12]

فالجدل هو حوار كلامي يتفهم فيه كل طرف من الفريقين المتحاورين وجهة نظر الطرف الآخر ، ويعرض فيه كل طرف منهما أدلته التي رجحت لديه ، واستمساكه بوجهة نظره ، ثم يأخذ بتبصر الحقيقة من خلال الانتقادات التي يوجهها الطرف الآخر على أدلته ، أو من خلال الأدلة التي ينير له بها بعض النقاط التي كانت غامضة عليه[13].

رابعاً : المكابرة لغة واصطلاحاً :

١- **المكابرة لغة :** ورد في المعجم الوسيط : "كابر فلانٌ فلاناً : طاوله بالكبر وقال أنا أكبر منك ، وفلاناً على حقه : جاحده وغالبه عليهوفي الخبر أو الحق : عاند فيه"

وفي لسان العرب : "فلان حية الوادي وحية الأرض إذا كان نهاية الدهاء والخبث والعقل ... يقال ذلك على الذي يستحق ما لا يملك مكابرة وظلماً".

٢- **المكابرة اصطلاحاً :** عرفها الجرجاني بقوله : "هي المنازعة في المسألة العلمية لا لإظهار الصواب ، بل لإلزام الخصم ، وقيل : المكابرة هي مدافعة الحق بعد العلم به"

وعرفها أبو زهرة بقوله : "والمكابرة لا يكون الغرض منها إلزام الخصم ولا الوصول للحق ، بل اجتياز المجلس ، والشهرة أو مطلق اللجاجة ، أو غير ذلك من الأغراض التي لا تغني في الحق فتيلاً" فالمكابرة هي المعاندة والمخالفة من أجل الظهور والشدة ، والغرض منها إلزام الخصم باعتماد أسلوب المغالطة ، لأنه لا يقصد المكابر الوصول إلى الحق والصواب .

ولذلك فالمكابرة تختلف عن المحاورة والمناظرة والجدل المحمود ، ولكن مع التقارب بين الحوار والمناظرة والجدل المحمود إلا أنه بينها تفاوت في ترتيب وقوعها حيث تبدأ القضية المطروحة أو الاختلاف بالحوار ثم يتبعه المناظرة ثم الجدل المحمود ، وربما يمتد إلى الجدل المذموم حيث يدفع المجادل التعصب لرأيه وإن كان ظاهراً مخالفته للحق ، ولكنه تأخذه العزة بالإثم رغم وضوح الأدلة وهنا يتحول الجدل إلى مكابرة .

واعتبر العديد من العلماء والباحثين أن الحوار والمناظرة والجدل والمناقشة والمباحثة قريبة من بعضها ، بل هناك من لا يفرق بينها ، بل يعتبرها شيء واحد كالإمام الجويني حيث يقول : "لا فرق بين المناظرة والجدال والمجادلة ، والجدل في عرف

---

[11] تاريخ الجدل

[12] تعريفات الجرجاني

[13] المدخل إلى علم الدعوة ، د. محمد أبو الفتح البيانوني ، ص ٢٦٤ ، ط الثالثة سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت

العلماء بالأصول والفروع ، وإن فرق بين الجدل والمناظرة على طريقة اللغة ، وذلك أن الجدل في اللغة مشتق من غير ما اشتق منه النظر"

وأما الإمام أبو زهرة فقال : "تدور على الألسن عبارة المناظرة والجدل والمكابرة ، وأحياناً تطلق إحداها في موضع الأخرى ، وفي الحق أن بينها اختلافاً واضحاً في الاصطلاح"

وقال الدكتور زاهر الألمعي : "وقد شاعت بين الناس ألفاظ إن لم تكن واحدة في المفهوم فهي قريبة بعضها من بعض كالمناظرة والمحاورة والمناقشة و المباحثة لأنها ترجع في نهاية أمرها إلى طريق البيان والتبيين التي أودعها الله في بني الإنسان جبلة وطبعاً ، وقد توجد بينها فروق بينتها قواعد الجدل وأدب البحث والمناظرة"

وقال د. عثمان حسن : "هناك ألفاظ مرادفة في معانيها للجدل والمناظرة ، من ذلك المحاجة ، المحاورة ، المناقشة ، المباحثة ، ولعل هذا هو الأصح وهو المعتمد في هذا البحث وكلاهما قد يستعمل في الحق والباطل ، وذلك بحسب قصد كل من المتجادلين والمتناظرين ، وما يدليان به من حجج"[14].

فهذه الأقوال تدل بوضوح على التقارب الواضح بين ألفاظ الحوار والمناظرة والجدل وإن وجد بينها بعض الفروق التي تتضح وتظهر عند التعامل مع هذه الألفاظ .

المبحث الثاني: التطرف والحوار

تكريم الله للإنسان :من الثابت يقينا أن الله فضل الإنسان على كثير من المخلوقات , بل فضله حتى على الملائكة والدليل على ذلك قوله سبحانه تعالى "إذ قال ربك للملائكة أني خالق من بشرا من طين ,فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين "[15]

ومحل التكريم أن الله سبحانه وتعالى لم يدفع الإنسان إلى تنفيذ أحكامه وقراراته قسرا عن طريق الغريزة الآلية شان سائر المخلوقات التي تخضع لنظام الله الذي أقام حياتها عليه عن طريق سلطان الغريزة

بل ميز الله تعالى الإنسان بالعقل ليميز بين الخير والشر ثم متعه بالقدرة على اختيار ما يشاء ومكنه من اتخاذ قراره طبق رغبته الذاتية دون قَسر خارجي يفقده الاختيار .

وتكليف الله سبحانه وتعالى للإنسان يأتي من خلال

الإعلام الذي هو نتيجة لتوجيه الخطاب من الله للإنسان عن طريق الرسل والأنبياء الذين ابتعثهم الله إلينا لإبراهيم وموسى وعيسى محمد وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

لولا الخطاب الإلهي الذي توجه إلينا عن طريقهم لما تحقق لدى الإنسان العلم بأنه مكلف ولولا العلم الذي هو ثمرة الإعلام لما استق أيَّ موجب من موجبات التكليف .

وندرك أن الانقياد لأمر الله لا يتحقق إلا من خلال توافر الرغبة الذاتية لدى الإنسان في الامتثال والعمل بمقتضى هذه الرغبة ولذلك لا يأتي هذا الانقياد إلا ممن علم أولا بالتكليف الإلهي المتجه إليه .

ان التكليف الذي شرف الله عباده لا يمكن أن يتحقق إلا حيث توجد حرية التصرف التي يملكها الإنسان وان هذه الحرية التي هي المناخ الذي لا بد منه لتحقيق التكليف .

قال تعالى : "إنا خلقنا الإنسان من نطفه أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا , إنا هديناه السبيل إمّا شاكرا وإمّا كفورا "[16]

---

[14] منهج الجدل والمناظرة ، د. عثمان حسن ٧٦٧/٢ .
[15] سورة ص الآية ٧١-٧٢
[16] سورة الانسان الآية ٢-٣

إن الإنسان مكلف من قبل الله بمهمة في هذه الحياة وان التكليف لا يتحقق إلا في مناخ الحرية فقد كان لا بد لعنصر الحرية أن يصاحب هذا التكليف وأن الإدراك لهذه الحقيقة ذو أهمية كبرى

وذلك لأنهم لو حملوا قسراً على الالتزام بالتكاليف الإلهية وسيقوا إليها دون اختيار منهم لسقط معنى الاستجابة الذاتية في عملهم ولما استحقوا على ما قد سيقوا إليه قسرا أي مثوبة وأجرا .

وأن الإيمان لا يستقر قناعة في العقل والنفس إلا من خلال الحرية التامة التي يملكها الإنسان من خلال القدرة على اتخاذ القرار ولا يجتمع هذا الإيمان مع العنف أو الإكراه أو الإرهاب.

وأن الإرهاب الديني لابد له من جذور ينبثق من خلالها ومن أهمها:

- عدم اهتمام القائمين على شؤون المجتمعات في العالم العربي بشؤون الدين وترك هذه المهمة في اغلب الأحيان إلى وزارة الأوقاف وهي في الغالب ذات صلاحيات محدودة وتقليدية وغير ذات كفاءة علمية لتواجه المتغيرات السريعة التي يشهدها العالم ومما يولد خيبة أمل ممن اقتنعوا بفكرة إقامة مجتمع إسلامي في بلادهم ويشعرون أنهم في غربة قاتلة , ويتخيل إليهم أن القائمين على الشؤون الدينية هم العقبة في إقامة المجتمع الإسلامي وان مفتاح عودة الإسلام إلى المجتمع هو القيام بوجه هؤلاء والقضاء عليهم ويظهر الفكر الاستقصائي وعدم الاعتراف بالآخر لان في نظرهم هم الذين يعيقون قيام مجتمع إسلامي .

إن الجهل بحقائق الإسلام يتمثل في أكثر الذين انعطفوا إلى الإسلام وتحمسوا للعمل على بسط سلطانه ويتمتعون بعاطفة دينية متأججة وان العاطفة وان لم تنضبط بكوا بح العلم تحولت إلى عاصفة مهلكة أفسدت باسم الدين بدلا من الإصلاح وكره الناس بالدين بدلا من أن يقربهم إليه ويحببونهم [17]

ولا ننسى أيضا الخطط الغربية المرسومة من زمن بعيد ترمي إلى مقاومة ما يسميه الأعلام الغربي بالخطر الحقيقي القادم من الإسلام ويساعده على تنفيذ مخططاته بعض الجهلة الذين لا يعلمون حقيقة الدين وأن الإسلام أول ما ضمن حرية العقيدة للمخالفين,قال سبحانه وتعالى " لا إكراه في الدين"

ينبغي على القائمين على العمل الإسلامي في البلاد العربية خصوصا والإسلامية عموما بذل الجهد والاهتمام ألكبر وتضاعف اهتمامها الجاد بتوعية الشباب وإعداد اختصاصين على قدر عال من المعرفة

بضوابط علمية معتدلة سليمة وهي بذلك تمتص قدرا كبيرا من عوامل التشنج في نفوس الشباب الذين يجتاحهم عاطفة الانبعاث الإسلامي وتغليب العقل على العمل المسلح .

إن ترك الدين السماوي وشأنه ومارسه أهلة ممارسة حقيقة دون وجود من يضيق عليهم لن يهدي إلا إلى الحب ولن يمد بين الناس إلا جسور التعاون وأن المشكلة ليست في جوهر الدين ولكنها تتمثل في الطريق الضيق المظلم الذي يلجا المتدينون إلى السير فيه .

يجب العمل على أن يكون الباعث الديني هو المسيطر بدلا من سيطرة تيارات مختلفة ومتناقضة .

وينبغي التقييد العواطف الإسلامية كلما اهتاجت في نفوس أصحابها بقيود الضوابط العلمية التي وجد الإسلام على أساسها ليعلم أصحاب هذه العواطف أن الإسلام هو تلك القناعة التي تسري إلى عقولهم بمحض الحرية والاختيار

ولابد من توافر الإخلاص لله سبحانه وتعالى في العمل والنصح الإسلامي

ويجب على ا لدول الغربية ان تكف يدها عن التلاعب ما بين الأشقاء وان لا تعكر صفو المياه الصافية

ولكن أنى يتم هذا والصهيونية العالمية تتحكم بناصية السياسة الأمريكية **وتتحكم بالاقتصاد وتنشب الحروب**

[17] مشكلات في طريق النهوض مجموعة من الباحثين دار الفكر ٢٠٠٢م بتصرف

المبحث الثالث : ثقافة الحوار في زمن العولمة

الإنسان أي إنسان فردا أم جماعة لا يمكنه العيش خارج بيئته أيا كان الزمان والمكان ولذلك فهو مرتبط بالعالم ومتغيراته المتسارعة فأي مثقف عاش في عزلة انتهت به هذه العزلة إلى العجز عن متابعة تطورات حياته ووقع في الخلل والجهل وأصبح عاجزا عن تطوير مجتمعه.

إن الحياة تفرض على الشعوب عملية التواصل فيما بينها وهذا التواصل يجري بأشكال مختلفة على الصعيد السياسي والثقافي والإعلامي

والثقافة تقع على رأس الأولويات بالنسبة لغالبية الشعوب.

وقد انفتح العرب على ثقافة الآخر منذ القديم وواصلها وحاورها دون أن يصاب بعقد فكرية أو اجتماعية أو دينية فقد حاور العقل العربي الثقافات القديمة كالهندية والفارسية واستفاد منها واستوعب فلسفتها دون أن يصاب بالخوف والرعب والتطرف على الرغم من أنها انشغلت أحيانا بالمفاهيم المادية والمجردة ولاسيما تلك التي ارتبطت بالذات الإلهية والروح والنفس وتطرفت في معاملتها إلى حد إنكار الوجود الإلهي[18]

إن تأصيل ثقافة الحوار مع الآخر تخلق حالة من التوافق بين الذات والأخر لتحقيق المنافع الخاصة والعامة للأطراف المتحاورة وان لم تبلغ مرتبة التطابق أو الاندماج ولعل هذا ينشئ بينهما أجزاء غير قليلة من عملية التسامح ومن بعدها التعاون والتفاعل بدلا من الصراع والكراهية وإذا كان مجتمعنا الإسلامي يعاني اليوم من ازدياد الآثار الناجمة عن حالات القهر والعنف غير المشروع نتيجة لاستخدام القوى المعادية القوة المفرطة ماديا ومعنويا فان هذا المجتمع أحوج ما يكون لتوظيف ثقافة الحوار لمنافعه ومصالحه.

ثم إن الحوار يستند إلى وظيفة وهدف محدودين بوصفه يدور على موضوعات إمّا خلقياً واجتماعياً، ثقافياً وسياسياً، اقتصادياً وتقنياً، أدبياً وفنياً، دينياً وفلسفياً، ثم يستمد مكوناته من طبيعته ومادته، وَفْق معاييره التي تبعده عن مجرد الحوار للحوار كما يحدث في عالم اليوم لدى بعض الدول التي تقبل بالحوار للإيهام والتضليل... بينما تنوي شيئاً آخر... فحينما يصمم كل طرف على أن يغلّب رأيه علىالآخر فإنه يقع في مناقضة صريحة لمعايير الحوار العقلاني الموضوعي؛ وهو ما نهى الله عنه في قوله: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن)[19]. فالحوار وفق هذا التصور ينتج تعاوناً إيجابياً فيما هو متفق عليه؛ وإلا فعلى كل طرف أن يعذر الآخر فيما اختلفا فيه... وألا يجعلاه سبباً للبغضاء والشحناء والفرقة والاقتتال ومن ثمّ إن قصور التصور، أو الجهل بالحوار وقواعده يؤدي إلى حالة من الكراهية، والحقد... واستثارة الشر وتأجيجه بالعنف، والصراع المادي والمعنوي، أي إن ذلك يؤدي في أضعف الحالات إلى القابلية والرِّضا بكل ما يفرضه الآخر، ، وفيه ما فيه وعليه ما عليه. ولعل ذلك يعني أن الصراع دليل على انقطاع الحوار بين هذا الطرف وذاك؛ وهو انقطاع يؤدي إلى إشكاليات كبرى، أولها: عدم الاعتراف بالآخر أو السقوط في القابلية والرضا بكل ما يقدّمه الآخر من رؤى وأفكار.

وثانيها: انعدام التكافؤ والتوازن بين المتحاورين؛ ما يشي بالهوى والعصبية، ثم بالاستخفاف به والاعتداء عليه، لاستغلاله، أو تسخيره لمنافعه الخاصة.

تفرض ثقافة العولمة تحديات كبرى على الشعوب والأمم والدول، لأنها تريد أن تفرض أنساقها، مستفيدة من كونها مركز النظام العالمي الجديد. ومرتكز الإنتاج بكل أشكاله المادية والمعنوية، ومنها الأشكال الثقافية والفكرية والعلمية والأدبية

[18] أصالة الحوار عند العرب ا مجلة الفكر السياسي العدد٣٤

[19] (النحل ـ ١٢٥)

والنقدية، والسياسية والاجتماعية، ومستمدة قوتها . كذلك . من امتلاكها لمراكز الإعلام، والبحوث القوية والفضائيات، والتقنيات والقوة العسكرية...

ولا مِراء لدينا في أنها حققت شيئاً من ذلك منذ الربع الأخير من القرن العشرين بالقوة المادية والمعنوية، التي سارت على طريق فرض أنساقها وتجلياتها... لتبرز في العشر الأخير منه هيمنة القوة الأمريكية وحدها، ما جعل العولمة تقابل الأمركة وتهدد الهوية الثقافية للدول والشعوب، بمثل ما تهدد الدولة الوطنية لما تملكه من أدوات فاعلة كالمعلوماتية والإعلام والتقنيات والاقتصاد والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، والمنظمات غير الحكومية؛ وشبكة كبيرة من العلاقات الدولية، فضلاً عن نظريات شتى في الثقافة والسياسة كالديمقراطية والحقوق المدنية والحريات العامة. لهذا قال عالم الاجتماع المعروف (أنطوني جيد نس): «إن ظهور نظم العولمة أو عالمية يعني أن العالم الذي نعيش فيه مختلف تماماً عمّا سبقه من المراحل والعصور»[20]

. فالعولمة تُحْدث تغييراً متنوعاً على كل المجالات والصُعُد في الثقافة والسياسة والاجتماع والاقتصاد والعلم وما يؤكد أنها تعيد تشكيل الوعي الإنساني من جديد في إطار الأنظمة التي تتبناها والمنظومات التي تتسارع في تقديمها.

وهذا يفرض على الأمة العربية أن تجند طاقاتها وقدراتها لتقليص الفوارق بينها وبين الدول والأمم، وأن تكشف مساوئ مفاهيم الصراع أياً كانت وجوهها وفلسفتها، وأن تثبت خطأ من يتبناها كما رأيناه في فلسفة الباحث الأمريكي (صموئيل هنتنغتون) لفلسفة (صدام الحضارات).

وهي فلسفة شاعت في العقدين الأخيرين من القرن العشرين حين تبناها عدد من الساسة الغربيين وعلى رأسهم قادة المحافظين الجدد في البيت الأبيض إبان إدارة بوش الابن...

إن ثقافة العولمة تتفرع وتتشابك وتتداخل بمفاهيم كثيرة كالهيمنة والاستغلال والاستعمار الذي تروجه بعض الدوائر الغربية بحجة الاحتواء ومحاورة الآخر، أو بحجة الواقعية السياسية والإعلامية، والتقنية والعسكرية... ولعل هذه الواقعية تفرض ذاتها لما تنتجه من علاقات متغيرة في ضوء القوة التي يملكها طرف دون طرف، ما يعني تجاوز مفهوم المصالح المشتركة والحقوق في الثقافة وغيرها.

بل يصل الأمر إلى المسّ بمقومات السيادة الوطنية واتخاذ القرار السيادي بحجة المرونة والقبول بالأمر الواحد...

وبهذا كله فإن هناك تعارضاً يصل إلى مرتبة التحدي الأكبر بين الحضارة العربية بكل أبعادها الزمانية والمكانية وبين الحضارة الغربية بوصفها انقلبت إلى حضارة هيمنة نتيجة تصورات أصحابها, أي إن الحضارة الغربية لم تعد تتسم بمصطلح الحضارة التي ترتقي بالأبعاد الخلقية للبشرية على الرغم من الارتقاء في مرتبة المدنيّة.

وهنا يكمن الصدام بين الحضارة العربية وثقافتها وبين ثقافة العولمة التي شكلت المدنية الأخيرة للغرب أساسها العضوي.

إذاً: العولمة . كما تظهر اليوم . توظف كل ما لديها من قوة مادية ناعمة، وقوة معرفية وعلمية، وقوة تقنية فائضة، وقدرة عسكرية فائقة، ولفرض ثقافتها، ورؤيتها على الآخر, ما يثبت أن هناك تحديات كثيرة على ثقافتنا، وثقافات الشعوب، والمجتمعات، والدول, وهي تشي بأن ثقافة العولمة لا تهدد فقط هذه الثقافات؛ وإنما تهدد وجود كيان الدول والأمم، لأنها تنزع عنها خصائصها الثقافية وتجعلها تابعة لثقافة مركزية واحدة تقودها إدارة واحدة

وحين نخص ثقافة الحوار والتحديات التي تواجه الثقافة العربية عامة والهوية خاصة في مواجهة العولمة فإننا نمدُّ نظرنا إلى التراث الإنساني الذي يعدُّ صفوة تجربة الأمم على مدى قرون عدة, وهي تجربة تتجسد تفاعلاً وعطاءً بين الشرق والغرب،

[20] الشهود الحضاري للامة الوسط في عصر العولمة د عبد العزيز برغوث وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية الكويت ٢٠٠٧م

تفاعلاً يتميز بجمال التصور الذي يكشف روح الإنسانية المتعالية على الرذائل, وفي هذا المقام نذكِّر بأننا شهدنا في القرن العشرين أشكالاً من تجليات العولمة المعاصرة التي ألقت بظلالها على العالم بأسلوب عفوي أو قسري في كل ميادين الحياة والثقافة والأدب والفن والعلم , ويمكننا أن نشير إلى ما تقوم به ثقافة العولمة من خلط مدروس في بعض المفاهيم والمصطلحات.

إن اتساع الفجوة الرقمية بين العرب والغرب عامة و أمريكا خصوصا يفرض تحديا كبيرا على العرب لمواكبة التطور العالمي فاتحدي التقني لم يعد مقتصرا على الفجوة الرقمية وإنما غدا تحديا ينذر بتدمير بنية الأمة في ماضيها وحاضرها فثورة المعلومات التي تحدثها التقنيات الحديثة لا تتوقف عند القدرة على الاتصال بين البشر وإنما تمتد إلى خلخلة كل ما هو سائد في مجتمع ما, وخاصة حين يمتد تأثير البرامج الإعلامية وما تبثه الفضائيات إلى كل ما يستشعر المرء بالحاجة إليه مهما كان ساذجا , كالمادة الإعلانية والترفيهية .

فثقافة العولمة بأذرعها التقنية الجبارة أحدثت فجوة رقمية بين دول الشمال ودول الجنوب وسعت إلى تهميش الثقافات وإن لم تستطع استئصالها ,مستفيدة من الجذب النفسي لما تفرضه أنماط السلوك التي تحدثها ثقافة العولمة .

إن ثقافة العولمة أصبحت تفرض على الشعوب لغتها وثقافتها وأفكارها وأدواتها وتجعلها شعوبا مستهلكة لكل ما تنتجه الدوائر الغربية وتعمل على إقناعها بالثقافة الاستهلاكية بكل إشكالها وتجلياتها فهي ثقافة أيدلوجية تتبنى مشروعا اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا وفلسفيا يسعى إلى الهيمنة على مقدرات الدول والشعوب [21]

وهذا كله يفرض علينا تحديات جمة تنشا من طبيعة الخوف على الهوية وخصائص ثقافتنا

ومن الدعوات الملحة للحفاظ على ثقافتنا بالرغم من عجز أدوات الثقافة الوطنية للقيام بهذا الدور.

وأيا كانت التحديات صعبة فإننا لا نريد ان نضع الثقافة العربية في مواجهة ثقافة العولمة بوصفها ثقافتين متصارعتين , وإنما نريد تحقيق الوعي بكل منهما وطبيعة ووظيفة الثقافتين من اجل ان لا تتلاشى الثقافة العربية أمام غزو ثقافة العولمة .

المبحث الرابع

مساهمة الحوار في بناء الحضارة الإنسانية

الحوار وبناء الحضارات

جاءت مقولة "صراع الحضارات" فقامت الدنيا ولم تقعد، وكان إصرار النخب الثقافية والسياسية عندنا على قلب المقولة إلى "حوار الحضارات". ففي الصراع نعرف أن موازين القوى تقود باتجاه واحد هو أن نسحق وندمر، أما الحوار فهو يسمح لنا بأن نكون طرفاً.

وبذلك نستريح من عناء الجهد والعمل وتعبئة الإرادة لنصنع الأمة ونوحد القدرات ونضاعف الإنتاج, ولو بني الموقف على دراسات متأنية للأنثروبولوجيا (علم أصل الإنسان) وعلم الاجتماع والتاريخ لأدركنا أن صراع الحضارات وحوارها وجهان

[21] نحن والعولمة فكرا ومصطلحا . توثيق التاريخ التأسيسي .دمعن النقري دمشق ٢٠٠٨م

لعملة واحدة، وأن الحضارات لا تتصارع ولا تتحاور، بل الناس هم الذين يتصارعون ويتحاورون لأسباب سياسية واقتصادية، وأن مواقفهم لا تنبع من معطياتهم الحضارية والثقافية بقدر ما تنبع من رؤاهم للمستقبل، ومن الأهداف التي يحددونها لأنفسهم ولمجتمعاتهم. ولأدركنا أيضاً أن الحضارات ليست كتلاً يعمل كل منها وكأنه آلية منتظمة، بل فيها من التناقضات الداخلية ما يفوق ربما التناقضات بين حضارة وأخرى، ويتواطأ بعض أبناء حضارة ما مع آخرين ضد بني قومه. ولأدركنا كما عبر بروديل (المؤرخ الفرنسي العظيم).

أن مقولة الحضارات لا تؤدي إلى الفهم إلا إذا أخذت على المدى الطويل (والمدى الطويل هنا هو القرون لا عشرات السنين)، وأن إخضاعها للعوامل والرؤى والمواقف السياسية المباشرة لا يؤدي إلا إلى الوقوع في نوعٍ من العنصرية الجديدة لو استندنا إلى تاريخنا لاستنتجنا من دراسة كتب الجغرافيا والرحلات (ابن بطوطة، ابن جبير، ابن فضلان، الإدريسي، وغيرهم..)، أن حضارتنا العربية الإسلامية لم تفترض آخر مغايراً أو مضاداً.

فما الحديث عن الآخر والحوار معه إلا نوع من التشاطر الثقافي الذي قادنا إليه أنصاف المثقفين ومخططو السياسة. إن حضارتنا العربية .الإسلامية لم تشيد جداراً بينها وبين البرابرة كما فعل الصينيون وكما فعل اليونان، وذلك لأنها لم تفترض أن الآخرين برابرة، ولأنها لم تفترض أن المجالات الحضارية الأخرى " آخر" مغاير لها. فحضارتنا على مدى التاريخ مزيج حضارات أخرى، وهذا هو سر عظمتها. وقد تخلينا حاضراً عن عظمة هذا التركيب الثقافي لننساق وراء مقولاتٍ وضعها دارسون غربيون عن الذاتية والمغايرة والتفرد والخصوصية، وهؤلاء ليسوا بعيدين عن مراكز البحث الاستراتيجي في بلادهم, ووقعنا في الفخ مرة أخرى.

أما الذين يمكن أن يقولوا إننا في تاريخنا قد قسمنا العالم إلى دارين: "دار الحرب" و"دار السلم"، كما ورد عند الفقهاء وكما عبّرت عن ذلك كتب السير (الفزاري، أبو يوسف، الشيباني وغيرهم)، فالجواب هو أنّ هؤلاء الفقهاء أنفسهم كانوا في الوقت نفسه يسعون إلى التسوية بين الدارين عن طريق دورٍ متوسطة أو ملغية، مثل دار العهد ودار الموادعة، لأنهم كانوا يركزون على العلاقات السياسية والعسكرية، ولم يروا في الأمر فروقاً حضارية أو ثقافية. وهم كانوا يعلمون ما لا نعلمه نحن، وهو أن الصراع بين الحضارات حين يوجد، لا يكون صراعاً حضارياً أو ثقافياً إلا للتبرير الأيديولوجي، لتبرير أفعال سياسية وسياسات عسكرية ومنافسات اقتصادية تستخدم الحضارات مطية .

لقد بنى أسلافنا (إذا صح التعبير) حضارة مفتوحة على العالم لا انفصام بينها وبين أصحاب الديانات أو الثقافات الأخرى، ولا جدران بينها وبين "البرابرة"، ولا استعلاء على من يخالفونها في الدين ونمط العيش، بنوا حضارة للإنسان فحوّلها المعاصرون حضارة للمسلمين بتأثير من مقولات عن الصراع والحوار بين الأديان والثقافات صادرة عن مراكز دراسات استراتيجية غربية.[22]

إن الآخر كامن فينا بحكم تكوين أمتنا التاريخي، وهذا الأمر يتيح لنا إمكانيات كبرى للتحرر، لتجديد مشروع تاريخي للأمة، مشروع لا يمكن إلا أن يكون عالمياً. وهذه الأمة ما عرفت في تاريخها المغزى والمعنى لذاتها إلا عندما كان لديها مشروع كوني مجاله العالم، لا بمعنى الفتح والغلبة، بل بمعنى سَعة الأفق والقدرة على الاستيعاب والتجاوز، استيعاب الثقافات المحلية

[٢٢٢٢] مجلة الاجتهاد العددان الثاني والخمسون والثالث والخمسون ٢٠٠١-٢٠٠٢م

وتجاوز الذات في سبيل العالمية. وقد كان الموالي في العصور الإسلامية الأولى" آخر" كامناً في الأمة، وكان دمجهم في جسم الأمة تعبيراً عن كونية المشروع، وما كان الخيار بين استئثار العرب بالسلطة من ناحية أو دمج الموالي من ناحية أخرى خياراً غير واعٍ، بل جاء الأمر حصيلة صراع فكري طويل دام خلال عهد الأمويين وأدى إلى الإطاحة بهم.

يستخدم الغربيون مقولة صراع أو حوار الحضارات لأغراض سياسية، فهم يتعاطون بالصراع بوجهيه الثقافي والسياسي في آن معاً.. أما عندنا فإن التعاطي يقتصر على الوجه الثقافي، إذ لم يتبقَ من السياسة غير أشلائها مع تزايد ضعف الأمة وتراجع وعي نخبها السياسية والثقافية.

وربما وجب التمييز بين الصراع (أو الحوار) الحضاري على المدى الطويل وعلى المدى القصير. فعلى المدى الطويل تتواصل الحضارات وتتفاعل، بل إنها ذاتها تتكون وتتطور بفعل التواصل في ما بينها. وإذا كان علماء التاريخ والآثار وتاريخ العلوم والاكتشافات لا يزالون يتناقشون حول تشابه الحضارات في أفكارها الدينية وفي منجزاتها العلمية والتقنية، وهل حصل الأمر بالانتقال من مكان إلى آخر (ما يستدعي الاعتراف بأصل واحدٍ لها) أو أن تطورها في مناطق وحضارات مختلفة جاء مستقلاً بعضه عن بعض (ما يستدعي الاعتراف بتعدد الأصول)

أما على المدى القصير فإن الغالب على تواصل الحضارات هو الصراع، ذلك لأن الغالب حينذاك هو الإرادة، إرادة الحكام والمغامرين والمهاجرين الذين تعني الرموز الحضارية ومفاهيمها بالنسبة إليهم أقل بكثير مما يعنيه تحقيق فوائد مباشرة أو مكاسب يحققونها على حساب الغير.

بل هم يضحون أحياناً بقيمهم الحضارية والأخلاقية، وحتى بالرموز الدينية، من أجل المصالح المباشرة.

يعني هذا الكلام أن الطابع الغالب على المدى الطويل هو الحضاري، وعلى المدى القصير هو السياسي، لكنه لا يلغي إمكانية حدوث حوار حضاري أو ديني بقرار سياسي، فهناك حركات سلمية يزداد انتشارها على مدى العالم، وهي تستحق التقدير والتشجيع. لكن ما يخشى منه هو أن تتحول الحضارات والأديان على أيدي هؤلاء وغيرهم إلى جواهر ثابتة، أو أن يزعم هؤلاء لأنفسهم الحق بتمثيل مجتمعاتهم لأنهم يختصرون الحضارات والأديان التي يمثلونها في بعض الجواهر الثابتة، فيكون ذلك عائقاً في وجه تطور البحث الموضوعي العلمي بدل أن يكون دافعاً له. ومن يجل في المكتبات أو يقرأ الصحف والمجلات كثيراً ما يشاهد عناوين كتب ومقالات تقول "الإسلام كذا وكذا.." أو "يقول الإسلام كذا وكذا.." **والحقيقة** أنّ الإسلام كغيره من الأديان أو المجالات . الحضارات يتنوع ويتعدد بحيث يستحيل حصره في مقولات أو جواهر مهما كان عددها، وأن المسلمين لا الإسلام هم من يقولون كذا وكذا..

وأن الإسلام لا يقول كذا وكذا إلا لمعيّن وليس على سبيل العموم.

والبحث في شأن المسلمين يضطرنا إلى البحث التاريخي والاجتماعي وإلى اعتماد المنهج العلمي وإلى الاعتراف بالتعدد والتنوع في إطار المجال الحضاري الديني نفسه..

أما البحث في شأن الإسلام دون المسلمين فهو يقود إلى مصادرة الإسلام لمصلحة مقولات في ذهن البعض، وإلى اختصاره في مفاهيم يعتبرها أصحابها معبّرة عن جوهره، بينما هي لا تعبر إلا عن رغبات معتنقيها، ومتى جنحت هذه المفاهيم إلى التطرف

السياسي يحدث التمييز بين الإسلام والمسلمين، وربما جاء المسلمون غير مطابقين للصورة المرسومة سلفاً عن الإسلام فينكرون على الإسلام .

وهذا ما حدث فعلاً على يد البعض الذين قالوا بوجود الإسلام وأنكروا وجود المسلمين (على اعتبار أنهم في عصر جاهلية).

إنّنا بحاجة إلى أفكار جديدة وإلى ابتداع مفاهيم تتيح لنا العمل كجزء من هذا العالم الذي ينبغي أن نشارك فيه مشاركة فعالة، كي لا نبقى الموضوع المنفعل بمقولات طروحات من لا تهمهم مصلحة هذه الأمة.

التوصيات والنتائج

- الحوار ظاهرة إنسانية لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات فسمة الناس الاختلاف فكيف ستستقيم الحياة من غير حوار يوازن بين حريتهم ومتطلباتهم...

الحوار هو الطريقة المثلى والطريق السليم الذي تنتهجه النفوس التي تريد بناء مجتمع متوازن و حياة سوية.

- الحوار أداة فعالة لإظهار الحق وتبنيه ودفع الشبه والشكوك والباطل .

- يجب أن يُنتهج الحوار وسيلة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا ينكر المنكر بمنكر مثله, ولكن بالحوار والحوار فقط.

- للحوار آداب لا بد من أن يتعرف عليها المُحاور قبل الحوار ثم يلتزم بها, وإلا فقد الحوار فاعليته ولم تظهر نتائجه المرجوة.

- المحاور الناجح هو الذي لا يعتمد الجدية والمقصد الأسمى والنية السليمة باتجاه الآخر , فلا يسخر ولا يقلل من شأن الآخر أبدا.

المراجع والمصادر

اسم المرجع	المؤلف	دار النشر	رقم الطبعة
القران الكريم			
مشكلات في طريق النهوض	مجموعة من الباحثين	دار الفكر دمشق	الطبعة الأولى ٢٠٠٢م
الرجال من المريخ والنساء من الزهرة	جون غراي	مكتبة جرير	الطبعة الثانية ٢٠٠٧م
القاموس المحيط	مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز	دار الفكر بيروت	الطبع الثانية ١٩٩٢م

	آبادي		
مختار الصحاح	محمد الرازي	مكتبة الشروق الدولية	الطبعة الرابعة ٢٠٠٠م
كتاب التعريفات	علي بن محمد السيد الشريف *الجرجاني*	دار الكتب العربية بيروت	١٩٩٠م
مناهج الجدل في القران الكريم	.زاهر بن عواض *الألمعي*	*دار* مكتبة الهلال	بيروت ١٩٨٠م
ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة	عبد الرحمن بن جسن حبنكة الميداني	دار القلم دمشق	الطبعة السادسة ٢٠٠٢م
تاريخ الجدل	د.محمد أبو زهرة	دار الفكر العربي القاهرة	
منهج الجدل والمناظرة	، د. عثمان حسن	رسالة دكتوراه	
مجلة الفكر السياسي	العدد السادس عشر	اتحاد كتاب العرب دمشق	٢٠٠٠ م
مجلة الفكر السياسي	العدد الحادي والعشرون	اتحاد كتاب العرب دمشق	٢٠٠٠م